

اتساع مساحة التربية والتعليم.. تقلص اللوم



منذ وقت بعيد.. مبكر، مبكر، جدًا.. دق الإمام جعفر الصادق (ع) جرس الإنذار في بيوتنا كلّها: "بادروا أحداكم (صبيانكم) بالحديث قبل أن تستيقنوا إليهم المرجئة". وإذا أُريد لنا أن نضع هذا الحديث في مصطلحات معاصرة، فأمامنا العناوين الأربع التالية:

- 1 المبادرة.
- 2 المسؤولية إزاء الأبناء.
- 3 التربية والتعليم.
- 4 التنافس التربوي أو (الصراع التربوي) مع التيارات الصالحة والمنحرفة. وإذا أُريد لنا أيضًا أن نُعرّف كل عنوان، نقول:
 - 1 المبادرة: هي أية فعالية تنطوي على التحرّك الذاتي (الدافع الذاتي) وعلى (الإحساس بالمسؤولية) وعلى (السرعة) الممكنة و(التبشير) وإلا فإنّ هناك مَنْ (يتربّص) لـ(يقتئل)!
 - 2 الأحداث: هم الفتيان والفتيات الذين تفتحت مداركهم لإستيعاب ما حولهم، أو ما يصطلاح عليهم بالشريعة بـ(الصبيان المميزين) وربّما أُريد بهم الصبيان في سن السابعة، بما بعدها. وقد يردد بهم مَنْ هم في سنّ المراهقة.
 - 3 الحديث: هو التربية على ما هو نافع وصحيح واجتناب ما هو فاسد وسيء.
 - 4 قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة: وهو ما يكن الإصطلاح عليه بنظرية (نفي الفراغ) فما لم يملأ - أي فراغ تربوي - بالصحيح الصالح، يملأ بالسقيم الطالح، أما رأيت لو أزّلك تركت حدائق المنزل دون عناية ومتابعة لاحتلال الأعشابُ والحشائش الضارّة والطفيليات أرضَ الحديقة في غزوٍ يوحى بالإبتلاء والإستحواذ؟! وقفات قصيرة عند كلّ عنوان:-1 المبادرة: يقول أمير المؤمنين علي (ع) في وصية لإبنيه الحسن (ع): "أيُّ بُنْدَيْ - إِنْ - لَمْ - ا

رَأْيُهُنِّي قَدْ بَلَغْتُ سِنِّاً وَرَأْيُهُنِّي أَزْدَادُ وَهُنَّا بَادَرْتُ بِوَصِّيَّتِي إِلَيْكَ وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِي إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي أَوْ أَكُونَ أَذْقَحَ فِي رأْيِي كَمَا نُقْصَتُ فِي جِسْمِي أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بِعُضُّ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَانِ الدُّرْزِيَا فَتَكُونَ كَالصَّاعِبِ الْذَّفُورِ إِذْمَا قَلْبُ الْحَادِثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَّةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتُهُ فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَبَشْتَاغِلَ لُبْلُكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَاتِهِ وَتَجَرِبَتِهِ فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَةَ الطَّلَابِ وَعُوفِيتَ مِنْ عَلَاجِ التَّجَرِبَةِ فَأَتَاكَ مِنْ ذلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَإِسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَطْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ . ما يهمّنا في المبادرة هنا نقطتان: أولاً- العمل من قبل المربّي قبل أن يدركه الموت (أداؤه لواجبه ومسؤوليته في أوانها). ثانياً- الإسراع بتربية الصبي قبل أن يقسوا قلبه وتكلّس مشاعره، ويستغل عقله بغير ما ينبغي. ثالثاً- اُنظر إلى تشبيه (قلب الصبي) بـ(الأرض الخالية) الجاهزة لأن تغرس فيها ما تشاء، وإنّما ينبري لها غيرك ممّن قد لا يدرك زرعه، أو ممّن يُرسل على زرعك ناراً فيحرقه. 2- التربية عند الصغر: قديماً قال أهل الحكم: "العمل في الصغر كالنقش في الحجر" وهل تمحي نقوش الفراعنة والبابليين والأشوريين والكنائس القديمة والمساجد العتيقة؟ تشيخ الأيام وهي باقية.. وقد يُقال: "مَنْ أَدَبَ ولده صغيراً سُرّ به كبيراً". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نحن (أعطي هدية) والدُّ من نُحْلٍ (هدايا) أفضل من أدب حسن". وينسب لعلي (ع) قوله: حرّض بنريك على الأدب في الصغر ** كيما تقرّ بهم عيناك في الكبر 3- الحديث: كل ما تُحدّث به أبناءك وبناتك من (خير القول) و(صالح العمل) هو حديث.. ولا يخفى انطواء (الحديث) على (الحداثة) أيضاً.. هناك تلازم بين الإثنين، فالآحاديث الرتيبة والجامدة والتي لا تعتمد الإيضاح والتّمثيل والشاهد والرقم والقدوة المتحرّكة مملأة ومنفّرة أحياناً 4- (المُرجئة) اليوم: كلّ تيار منحرف.. أو فئة ضالّة، أو مدرسة أخلاقية هابطة، أو توجّه إفسادي فاضح، أو قناة فضائية مسمومة، أو موقع إباحي.. هو (مرجئة) أي فرقة، أو فريق مارق لا يلتزم النهج الإسلامي الصحيح.. فلما لم يملؤه (الرّحمن) بالطيب الصالح، يملؤه (الشيطان) بالخبيث الفاسد.. فلننادر قبل فوات الأوان.. قصة واقعية: أحد الآباء يعمل وقتاً كاماً ويعمل خارج أوقات الدوام، بل في العطل أيضاً.. حين يعود إلى بيته يكون منهكاً تماماً.. يخرج أحياناً وإبنه نائم.. ويعود إبنه نائماً.. ذات يوم بقي الطفل ساهراً ينتظر عودة أبيه.. فلمّا أراد الأب الذهاب للنوم.. استدعاه إبنه إلى غرفته.. وقال: أبت، هل لك أن تأتي إلى غرفتي؟ لي معك حديث.. دخل الأب

مستغرباً من طلب إبنه.. هنا سأله الإبن، أبتاه، كم تأخذ أجراً على الساعة؟! قال الأب: عشرة دولارات. مدّ الإبن يده إلى تحت وسادته وأخرج عشرة دولارات مما كان قد ادّخره من مصروفه.. قدّ منها لأبيه والأب مندهش.. قال له: ما هذا؟ قال الإبن: خذ هذه العشرة دولارات وأعطيك ساعة من وقتك!! مقترحات: 1- إغتنم وقت ما بين الصلاتين للحديث مع إبنك.. إنّه أنساب الأوقات. 2- إغتنم فرصة الذهاب إلى المدرسة والعودة منها في السيارة أو في الرحلان العائلية حتى القصير منها.. لتقديم ولو مفهوم تربوي واحد. 3- يستدعيه إلى غرفتك.. أو إذهب إليه إلى غرفته عند الضرورة. 4- لا أجد أن أوقات مشاهدة التلفاز أو تناول الطعام أو الدراسة مناسبة لحديث تربوي.. لا تقل كلمتك والبال مشغول بغيرها، ربّما بعد الفراغ من الطعام وأنتم جلوس على المائدة.. أو للتعليق السريع على مشهد أو موقف تلفازي سلبي أو حتى إيجابي. 5- الدعوة إلى جلسة طارئة إذا استدعي الأمر التنبيه على أو مناقشة مسألة عامّة تهم الجميع. 6- إصطحاب الأولاد إلى مجالس الوعظ والذكر، فربّما وعظ يأتي من غريب يكون له يكون وقع أكبر من وعظ القريب، وقد يعزّزه ويرسخه. التجربة تقول: إذا اتسعت مساحة التعليم والتربية والمتابعة تقلصت مساحة اللوم وغضّ الأصابع والندم وجلد الذات وتأنيب الضمير.►